مجلة المجمع العلمي العراقي

العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية

المجلد التاسع

الوثنية والمسيحية في المشرق

بقلم :
روفائيـل ميـنـاس
كركوك

مقـدمة :

ظهرت الديانة المسيحية في وقت كان العالم المعروف حينئذٍ مقسوماً الى مملكتين عظيمتين هما : مملكة الرومانيين « نسبة الى مدينة روما المشيدة سنة ٧٥٤ ق٠ م » ومملكة الفرثيين ، الذين ظهروا في المسرح السياسي في حدود سنة ٢٥٠ ق٠م بزعامة ارشاق الذي تنسب اليه الدولة احياناً فتدعى بالدولـة الارشاقية ٠ كانت مملكة الرومانيين تشمل معظم بلاد اوربا وأفريقيا وآسـيا الصغرى وسورية كلها ــ بلاد الشام ــ ٠

وكانت هذه الممالك مرتبـة ومنظمة ومقسمة الى دويلات ، ثم انقسمت الى قسمين متميزين منفصلين قسم في المغرب وقاعدته مدينة روما وقسم في الشرق وقاعدته القسطنطينية ٠ وذلك بعد صدور مرسوم ميلانو الشهير سنة ٣١٣ م من قبل الملك قسطنطين الاول الكبير « ٢٧٣ ــ ٣٣٧ » الذي اعلن فيه شرعية الديانة المسيحية في امبراطوريته ، نقل عاصمته من مدينـة روما الى « بيزانس ــ بيزانطية » وبنى في موقعها مدينة بين سنة ٣٢٦ و ٣٣٠ م التي سميت باسمه القسطنطنيه ٠ وبقيت المملكة الشـرقية في القسطنطنية الى ان قرضها آل عثمان سنة ١٤٥٣م ٠

اما مملكة الفرثيين « ٢٤٨ ق٠م ــ ٢٢٦ ب٠م » فكانت تشمل جميـع

اقسام بلاد فارس وما بين النهرين واشور وبابل . وكانت مدينة طيسفون في عراق مقر الحاكم الفرثي . وكانت هذه المملكة مقسمة ايضاً الى امارات وممالك عديدة صغيرة ، ولكل واحدة منها ملك او أمير يحكمها ويخضع للارشاق « الملك الفرثي » . ولذا سمي عهدهم بعهد ملوك الطوائف . وكانت اشهر هذه الممالك : مملكة الرها « اورفا » وتدمر وامارات حدياب وحطرا « الحضر » وسنجار وكرخ ميشان وبيت كرماي . وقد نشأت هذه الممالك الصغيرة في عهد اليونان ، وذلك ان الاسكندر المقدوني بعد انتصاره على الفرس سنة ٣٣١ ق.م في واقعة كوكميلا المعروفة بواقعة اربيل قد اقام عليهم نحو عشرين ملكاً وهم المسمون بملوك الطوائف . وكانت كل هذه الممالك كلدانية ارامية غير مستقرة في تبعيتها ، تارة تستقل وتارة تخضع للفرثيين او للرومانيين .

ولم تذكر لنا التواريخ أخبار هذه الممالك التي تشكلت في بلادنا قبل الميلاد بزمن قليل وعاشت الى ما بعد الميلاد بأجيال قليلة . تمكن الفرثيون بعد نزاع طويل مع السلوقيين ان يحكموا العراق نحواً من أربعة قرون « ١٣٩ ق.م ــ ٢٢٦ ب.م » . وكانت أيامهم منعمة باضطرابات داخلية وخارجية ومعارك دامية بين ملوكهم وبين الاقوام الجبلية ؛ ثم بينهم وبين الرومان « الذين كانوا مجاورين لحدودهم الشمالية الغربية » وقد دامت تلك الاضطرابات مدة تقارب سبعة قرون الى يوم انقراضها بيد الساسانيين .

عاشت الكنيسة الشرقية قرنها الاول في المنطقة الفارسية تحت ظل تسعة ملوك فرثيين من السلالة الارشاقية ، وأخذت المسيحية تنتشر في عهدهم في شتى أنحاء بلاد مابين النهرين ... « دون أن يكون للنصارى أي دور سياسي » . انقرضت المملكة الفرثية بثورة أهلية أحدثها اردشير بن بابك

الملقب بساسان ، وهو مؤسس الدولة الساسانية « ٢٢٦ ــ ٦٣٦ م » . ودعي ملوكها بالاكاسرة ونصب كرسيّه في المدائن .

فوجيء الساسانيون بانتشار المسيحيين في شتى أرجاء بلادهم وبتغلغلهم في مختلف ميادين الحياة واضطروا الى اتخاذ موقف تجاه هذه الديانة الجديدة التي تهدد معتقداتهم الوثنية ... ولذا نرى ان اردشير يعلن الزرادشتية ديناً رسمياً للدولة الساسانية لكي يواجه به انتشار المسيحية ، ثم سار عليه الملوك الذين حكموا من بعده . ومن الذين تحزبوا للساسانيين « شهراط » ملك حدياب و « دوميطيانا » ملك كرخ سلوخ « كركوك » .

حارب اردشير الرومان في عهد ملكهم الكسندر سويرس سنة ٢٣٣ م فانتصر عليهم ، وتم له الاستيلاء على كركوك وأربيل وعلى سائر بلاد مابين النهرين عدا « الحضر » المدينة العربية فقاومته بشدة ، ولم تذعن الا في أيام شابور الاول « ٢٤١ ــ ٢٧٢ م » .

واذا ألقينا نظرة على الملوك الساسانيين نجد منهم من يتحلى بالرفق والتسامح تجاه المسيحيين ، ومنهم من ينقلب عليهم مضطهداً تحت تأثير رجال الدين المزديين . وكان شابور الثاني « ٣٠٩ ــ ٣٧٩ » من أشد الملوك الساسانيين قسوةً ، فقد أضرم نار الاضطهاد على المسيحيين دام زهاء أربعين سنة ، وبذا عرف بالاضطهاد الاربعيني « ٣٣٩ ــ ٣٧٩ » فأودى بحياة عدد كبير منهم ، ولا سيما في منطقتي كركوك واربيل ، وذلك لوجود القوات الفارسية هناك على خطوط المجابهة مع القوات الرومانية ، والملك يزدجرد الثاني « ٤٣٨ ــ ٤٧٥ » الذي جعل مدينة كركوك قاعدة للتنكيل والتعذيب لتنصر بعض حكامها وأعيانها وبلغ عدد القتلى فيها من النصارى نحو اثني عشر ألفاً حسبما ورد في سيرة مار طهمزكرد صاحب دير « قرمزي كليسا » في كركوك .

وبقي قطرنا تحت رحمة آل ساسان الذي ذاق منهم الأمرّين حتى انقراض دولتهم بيد العرب في واقعة القادسية الشهيرة عام ٦٣٦ م[١] .

المجوسية الفارسية :

حين ظهور المسيحية في بلاد فارس ، كانت الديانة السائدة فيها هي المجوسية المعروفة بالمزدية المستندة الى التعاليم الزرادشتية[٢] بمعنى ضياء الذهب القائلة بالاهين : اله الخير هرمزد « النور » واله الشر اهريمان « الظلمة » وكان الفرس يوقدون النار اكراماً لاله الخير في معابدهم المظلمة باعتقادهم انه لا يجوز ان تصل الشمس الى النار المقدسة . وكان رب البيت يتعهد بنفسه النار المقدسة بالوقود . وكانت الوقود توضع في اناء كبير من حديدٍ مزين بالنقوش ، وتُجعل في المعبد المظلم فوق المنارة . ومن ذلك تتجت عندهم عبادة النار أو تقديسها . وكان يوم النوروز من أكبر أعيادهم الشعبية ، وهو يوم رأس السنة وهو عيد ربيعي ، ثم أضاف المجوس الى معتقداتهم عبادة الشمس والقمر والنجوم والتنجيم أخذوها من الكلدان ومن البابليين . سمي كهنة زرادشت مجوساً . وكانوا من ألدّ أعداء

---

(١) كلدو واثور ١ : ١٦٢ و ١٦٩ و ٢ : ١ و ٢ ــ تاريخ نصارى العراق ص ١ ــ بيوك تاريخ عمومي بالتركية ج ٣ ص ٤٦٤ ــ تاريخ الموصل ١ : ١٨ ــ تاريخ الكنيسة الشرقية ١ : ٢٥ و ٢٦ و ٤٣ ــ وعن شهداء كركوك انظر بحثنا « الشهيد طيمزكرد ودير » في مجلة « بين النهرين » ١٩٧٩/٢٧ .

(٢) نسبة الى زرادشت الذي ولد في الناحية الغربية الشمالية من بلاد فارس على شاطىء نهر اراس الحالي في ٦٦٠ ق.م وتوفي في ٥٨٣ ق. م. واصبحت الديانة البدائية للميديين والفرس الاخمينيين بعد ان بشر بها زرادشت ، ولما اسس الفرثيون دولتهم اختاروا الديانة الزرادشتية واحيوا النار الابدية وقدسوها . وكان العصر الذهبي لهذه الديانة في عهد كسرى الاول « ٥٣١ ــ ٥٧٨ م » وقد فرضها ملوك آل ساسان على البلاد التي تغلبوا عليها .

النصارى . وكان لهم منزلة عظيمة لدى العامة والخاصة بل الملوك أيضـاً ، ورئيسهم يدعى « موبذ » ورئيسهم الاعظم « موبذان » . وهو قاضي القضاة. وكان يقيم في طيسفون . وكان من أقبح عاداتهم ان الاخ يتزوج باختـه والاب بابنته والابن بأمه ، ثم أزالها من بينهم الاسكندر المقدوني . كما ألغى الزرادشتية وأقام بدلاً منها ديانة اليونان الوثنية . ولكن الفرس لم يتخلوا عن ديانتهم وأخذوا يتعبدون بها سراً . تضاعف نفوذ المجوس في الدولـة الساسانية ، فكانوا الحكام المطلقين والقضاة على حياة من لا يدين بالوثنية فحارب بعض ملوكهم المسيحية بتأثير رجال الدين المجوس ، كما كان لهم دور كبير وهام في سياسة الدولة ولاسيما في منطقتي حديـاب وبيت كرمـاي (باجرمى)[٣] .

انتشـار المسـيحية :

انتشرت الديانة المسيحية في العالم على أيدي الرسل الحواريين الاثني عشر ، وتلاميذ السيد المسيح الاثنين والسبعين حيث جعلهم عمداً لكنيسـته المقدسة وأعطاهم سلطاناً أن يكرزوا باسمه في العالم « اذهبوا وتلمذوا كل الامم وعمذوهم باسم الاب والابن والروح القدس ، وعلموهم جميع مـا أوصيتكم به ، وها أنا معكم كل الايام الى منتهى الدهر »[٤] . « ها أنـا أرسلكم مثل الخراف بين الذئاب فكونوا حكماء كالحيات ودعاء كالحمام »[٥] فالمسيح لم يترك تعليمات مكتوبة لرسله ، ولكنه بدلاً من الكتب وعدهم بالروح القدس الذي سيلهمهم بما سيقولون . فبعد صعود المسيح الى السماء

(٣) اربيل ص١١٤ ــ كلدو واثور ٢ : ٢٥ ــ و ١ : ١٦٩ ــ مختصر في التواريخ القديمة ص ١٦٥ و ١٦٧ و ١٧٠ ــ يزداندوخت ص ٢٤ ــ انتقال علوم الاغريق الى العرب ص ٢٤٢ وما بعدها .

(٤) انجيل متى ٢٨ : ١٩ ــ ٢٠ .

(٥) انجيل متى ١٠ : ١٦ .

وحلول الروح القدس على التلاميذ عندما كانوا في مكان واحد ، ظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار فاستقرت على كل واحد منهم فطفقوا ينطقون بألسنةٍ مختلفة اخرى كما اتاهم الروح ان ينطقوا « أعمال الرسل فصل ٢ » . وشرعوا للعمل وانطلق كل واحد منهم الى البلاد التي وقعت في قسمته . وكان عملهم التبشيري الاول بين اليهود بني جنسهم في اورشليم القدس ثم امتد الى انطاكية والاسكندرية وروما وبلاد اليونان وآسيا الصغرى وارمنية وبلاد ما بين النهرين . وفي بلاد الشام وفيها قامت أول كنيسة في انطاكية « انطيوخوس المشيدة سنة ٣٠٠ ق.م » من بعض الاوساط اليهودية المتنصرة بعد ان بشرها مار بطرس هامة الرسل وأقام كرسيّه الاول فيها سنة ٣٦ أو ٣٨ . « وكانت هذه المدينة حاضرة ملوك السلوقيين ، وفي مطلع العصر المسيحي أصبحت مقراً للحاكم الروماني » . وبعد سبغ سنين غادرها مار بطرس الى مدينة روما بعد ان خلف اوديوس بطريركاً على كرسي انطاكية وتبوأت كنيستها المكان الاول بين كنائس الشرق ، وذلك بعد تدمير اورشليم عام ٧٠ على يد طيطوس الروماني[٦] .

وفي انطاكية أُطلق على اتباع المسيح « تلاميذ المسيح » اسم المسيحيين لاول مرة . أما اليهود الذين كانوا يبغضون المسيحيين أشد البغض فغالباً ما هم الذين اطلقوا في اليهودية على فرقة التلاميذ لقب الناصريين احتقاراً

(٦) بعد خراب اورشليم وهيكلها ودولة اليهود نهائياً على يد الرومان تفرق اليهود في العالم على ايدي سبأ . ولاشك في ان القسم الاكبر منهم استوطن البلاد العربية جرياً على تقاليدهم لوحدة النسب والجوار ، ولما صارت النصرانية دين الدولة عند الرومان هرب اليهود من الاضطهاد مع من هرب من المنشقين على دين الدولة الى الحجاز واليمن المحجوزين بالصحاري والبحار عن كل مضطهد والآمنين على اللاجئين اليهما . وصارت اليهود الطابور الخامس لدولة فارس في الجزيرة كلها . « القرآن والكتاب ج ٢ ص ٣١ للاستاذ الحداد » .

ونسبة الى يسوع الذي هو من الناصرة ومنهم اتخذ الفرس هذا الاسم وانتقل الى العرب(٧) (٨) .

انتشار المسيحية في بلاد ما بين النهرين :

انتشرت المسيحية في بلاد ما بين النهرين وفي بلاد فارس منذ عهد الرسل وتلاميذهم في فترة تسبق نهاية القرن الثاني للميلاد ، وذلك عن خط التبشير الذي يبدأ من الرها مارأ بنصيبين وباتجاه بانوهذرا « منطقة زاخو ودهوك » . ومركا « المرج » « المنطقة التي تشكل مثلثاً متساوي الساقين قاعدته نحو الشمال في سلسلة جبال عقرة ورأسه نحو الجنوب عند ملتقى نهر الزاب الكبير بالخازر . ويحد هذه المنطقة من الشرق نهر الزاب الكبير ومن الغرب نهر الخازر ورافده نهر الگومل » وحديابٍ وبيت كرماي ورادان وبيت اراماي « المنطقة الواقعة جنوب بغداد ما بين النهرين » وكشكر « الواسط » وسلوقية ونيشان « منطقة البصرة » وبيت هوزاي « الاحواز » المنطقة الواقعة في جنوب غربي ايران ازاء شط العرب . وذلك استناداً الى التقاليد القديمة المتداولة من جيل الى جيل وبصورة قوية مما يؤكد صحة ذلك الى حد ما . ويؤكد ذلك ، التقليدُ الجاري في كنيسة ما بين النهرين كما ان جميع المؤرخين الشرقيين يؤيدون ان الرسل الذين بشروا في هذه المناطق هم أربعة : توما الرسول أحد الاثني عشر الذي قام بجولة تبشيرية واسعة النطاق عمت معظم

---

(٧) اما لفظة گاوور التي تطلق على النصارى فيقول « ريج » : ان اصل اللفظة هي « گەبر » أي عابد النار ، وهي مرادفة لكلمة كافر . وتطلق على الذين سبقوا المسلمين في العبد وعلى الاوربيين كذلك .

(٨) ذخيرة الاذهان ١ : ٣٢ ــ المجلة البطريركية « ١ ــ ١٩٦٢ » ص ١٨ و « ٦٥ ــ ١٩٦٩ » ص ٢٤٢ وما بعدها ــ مجلة بين النهرين ١٩/١٨ ص ٢١٠ ــ المسيحيون الأولون ص ١١ و ٢٨ ــ كلدو واثور ٢ : ٢٨ ــ رحلة ريج في العراق ص ٢٢ .

بلاد المشرق • وعند مروره ببلاد ما بين النهرين وهو في طريقه الى بلاد الهند أقام مار ادّي وتلميذيه اجاي وماري ليكونوا رعاة ومبشرين للمسيحية فيها • قال ترتليانس القرطاجني من كتبة أواخر القرن الثاني : أليس بالمسيح آمنت كل الامم ، القرثيون والماديون والعيلاميون والذين يسكنون في ما بين النهرين •

والمؤرخ اوسابيوس القيصري ٢٦٣ ــ ٣٣٩ م يقول : ان القديس توما الرسول بشر بلاد القرثيين أيضاً لدى عبوره فيها في طريقه الى الهند • وذكر ديونيسيوس الاسكندري الذي عاش في أواسط القرن الثالث وجود كنائس قبل عصره في ما بين النهرين • وقال برديصان المتوفى سنة ٢٢٢ م في كتابه « شرائع البلدان » الذي ألفه في نهاية القرن الثاني وكتبه تلميذه فيلبس نحو سنة ٢٢٦ : انه منذ القرن الاول كانت الديانة النصرانية قد انتشرت في بلاد ما بين النهرين والرها •• ويقول : اننا حينما وُجدنا نُعرف بالمسيحيين نسبة الى اسم المسيح ••• « ولد برديصان بالقرب من نهر ديصان ــ أحد فروع نهر البليخ ــ في الرها وسمي ابن ديصان نسبة الى نهر ديصان • وكان ابوا برديصان وثنيين هاجرا بلدتهما أربيل الى الرها » • وتذكر لنا الوثائق الرهاوية قصة فيضان نهر ديصان سنة ٢٠١ م وتدميره كنيسة هناك تستلكها قلة من المسيحيين بجانب الوثنيين في المدينة • ويؤخذ مما ذكره العلامة ابن العبري « وهو غريغوريوس ابو الفرج ١٢٢٦ ــ ١٢٨٦ » وحده يذكر ان القديس توما نفسه في طريقه الى فارس والهند قد عبر بتكريت سنة ١٢ للصعود ونصّر هناك شخصاً اسمه برحذبشبا وعائلته وجماعة من السكان ، ثم مشى الى بلاد ماذي والترس[٩] وغير ذلك من البلاد المجاورة وتوغل الى

(٩) ينسب الماديون الى ماداي بن يافث بن نوح « العهد القديم سفر التكوين ١٠ : ٢ » . « ولعلهم » استوطنوا في الالف الاول ق. م البلاد التي غلب

أقصى بلاد الهند داعياً الوثنيين الى عبادة الله الحق . وتلمذ جمعاً غفيراً من الناس بآيات باهرة مما جلب عليه نقمة الوثنيين وحسدهم فطلبوا قتله ، فرشقوه بسهامهم حتى قضى نحبه في مدينة ملابار سنة ٧٥ م . وفي سنة ٣٩٤ نقلت ذخائره الى مدينة الرها ودفنت في الكنيسة التي بنيت على اسمه « أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم صلوا لأجل الذين يسيئون اليكم » متى : ٥ : ٤[١٠] .

قدوم مار ادي الى الرها وما بين النهرين :

كان ادي من المبشرين الاثنين والسبعين ؛ ذهب بعد العنصرة الى مدينة الرها وشرع يبشر فيها ويجري العجائب ، وما ان سمع الملك ابجر الخامس « ابجر اوكاما » بتلك الاعمال المدهشة حتى تذكر وعد المسيح له « وكان ذلك سنة ٣٠ للمسيح كما قال ابن العبري » . فاستدعى ادي واكرم مثواه . شفى ادي الملك من دائه العضال ومنحه العماذ مع ذويه ومع كثير من اليهود والوثنيين في المدينة . قال المؤرخ السرياني المجهول : « بعد صعود المسيح جاء ادي الرسول الى مدينة الرها وشفى ملكها الابجر فآمن هو وسكان مدينته واعتمذوا » .. ثم قام بجولة تبشيرية واسعة النطاق في المشرق ؛ ثم عاد الى الرها بعد اثنتي عشرة سنة ؛ ولما اشرف على الموت عين تلميذه احاي

عليها اسمها ويقال لها مادي ومنها بلاد فارس التي كانت احدى ولايات الماديين ؛ بل احطها ولم تكن ذات شهرة قبل عهد ملكها كورش « ٥٦٠ ـ ٥٣٩ ق. م » .

(١٠) تاريخ الكنيسة الشرقية ١ ص ٨ و ١٠ و ١٥ و ١٦ ـ كلدو واثور ٢ ص١ و ٥ و ٢٠ و ١٢٤ ـ مجلة بين النهرين ١٩/١٨ ص٢١٢ ـ المجلة البطريركية (١٩٦٥/٣٤) ص ١٩٧ و (١٩٦٩/٦٨) ص ٤٠٨ وما بعدها و (١٩٧٠/٧١) ص ٢٥ ـ سيرة القديسين اليومية ٢ ص ٨٠٦ ـ ادب اللغة الارامية ص ١١ و ٥٨ وما بعدها ـ مختصر في التواريخ القديمة ص ١٤٤ .

خلفاً له على كرسي اسقفية الرها . وتوفي في ١٤ ايار عام ٤٩ . وكان ابجر الملك الصالح بعد في قيد الحياة ودفن في البيعة التي ابتناها في الرها[١١] .

تنصر اليهود :

لاشك في ان اهتداء عدد كبير من المؤمنين الأولين قد تم بين اليهود الذين كانوا قد سمعوا كرازة يوحنا المعمدان . وكان يسوع ذاته على صلة متينة بالمعمدان ، كما ان اثنين من رسله كانا من تلاميذ يوحنا ، والاهمية التي تعطيها الاناجيل وأعمال الرسل لشهادة يوحنا المعمدان تشير الى مدى تأثيره في المسيحيين الأولين ... وتدل المدونات التاريخية المسيحية على ان ثلاثة من تلاميذ السيد المسيح وهم ادي وماري واحي جاءوا بعد وفاة المسيح مباشرة الى المشرق للتبشير بتعاليمه بين اليهود المسبيين وبين الوثنيين . كما تدل على ان مار ادي بدأ بالتبشير في ناحية حزّة والموصل وباجرمي ...

وكان عمل التبشير بين اليهود المسبيين لدى ظهور المسيحية أسهل على ادي وماري واحي انجازه من ان يقوموا بين الوثنيين لسببين ، اولهما ان اليهود سبق لهم ان آمنوا بالتوحيد . وان المسيح لم يأت لهدم شريعة موسى بل ليتمها . « لا تظنوا اني أتيت لأحلّ الناموس والأنبياء ، اني لم آت لأحلّ لكن لأتمم »[١٢] . والسبب الثاني ان هؤلاء الحواريين كانوا يتكلمون مع اليهود المسبيين ويتفاهمون معهم باللغة الاصلية نفسها التي كان اليهود والحواريون يتكلمون بها على حد سواء ، وهي الارامية لهجة المسيح ... وعلى هذا الاساس يؤكد الباحثون ان أول المتنصرين في الشرق والغرب كانوا من اليهود .

---

(١١) كلدو واثور ٢ ص ٥ ــ المجدل لماري ص ١ و ٣ ــ المجلة البطريركية (٣٤/ ١٩٦٥) ص ١٩٧ وما بعدها .

(١٢) متى ٥ : ١٧ .

تنصر يهود اربيـل :

ان أول جماعات نصرانية قامت في بلادنا تألفت من اليهود ، ويدل على ذلك اسماء أول اساقفة اربيل وهم : « پقيدا ١٠٤ ــ ١١٤ م » و « شمشون ١٢٠ ــ ١٢٣ » و « اسـحق ١٢٣ ــ ١٣٦ » و « ابراهـام ١٥٠ ــ ١٦٥ » و « نوح ١٦٥ ــ ١٨١ » و « هابيل ١٨٤ ــ ١٩١ » و « عبيد مشيحا ١٩١ ــ ٢١٦ » و « حيران ٢١٦ ــ ٢٤٩ » و « شحلوفا ٢٤٩ ــ ٢٥٤ » و « احادآبوي ٢٥٤ ــ ٣١٢ م » .

قال المؤرخ الاربلي مشيخا زخا الذي عاش في منتصف القرن السادس للميلاد ان الذين تتلمذوا لمار ادي في اربيل پقيدا . وكان من عائلة يهودية فقيرة تنصر نحو سنة ٩٩ م فاضطهده أهله وحبسوه ، لكنه هرب ولحق بمار أدي وهو يكرز بالانجيل في جبال حدياب ، وبقي عنده خمس سنوات ثم جعله اسقفاً وأرسله الى اربيل سنة ١٠٤ ، ونصر پقيدا أهله وجماعة من سكان المدينة وتوفي سنة ١١٤ ودفن في منزل أهله . وكانت امارة حدياب آنذاك تحت حكم اسرة يهودية حكمت حدياب بين سنة ٣٦ وسنة ١١٥ م ؛ وفيهـا انقرض حكم السلالة اليهودية في حدياب على يد تراجان الامبراطور الروماني سنة ١١٦ م . وان هؤلاء اليهود المسبيين وجدوا في منفاهم في المنـاطق الجبلية المنيعة خير مَوئِل يحميهم من غارات الفاتحين ، فحافظوا على كيانهم واستقلالهم ولغتهم السريانية ومعها طقوس المذهب النسطوري وعاشـوا كيهود قبل المسيح[١٣] وكمسيحيين بعد المسيح[١٤] .

---

(١٣) المسيحيون الاولون ص ٩ .

(١٤) كلدو وأثور : ٢ : ٨ و ٩ ــ ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق ص ٥٢ وما بعدها .

جولة مار ماري في منطقة بيت كرماي :

كان مار ماري من تلاميذ مار ادي ومن أبناء المائة الاولى للميلاد ، بعد ان اسيم استفناً على يد معلمه قام يبشر بالانجيل ، فتلمذ خلقاً كثيراً في نصيبين وارزن « خرائبها تدعى اليوم خراب بازار ومن مدنها سعرد » وفي حدياب وشهرقرد ودرار ورادان وفي بيت كرماي وسلوقية وطيسفون وكشكر وميشان والاحواز ، ثم اسس كرسيّه في المدائن . وبعد أن أكمل مهمته الرسولية توفي سنة ٨٢ ودفن في الكنيسة التي بناها في دير قنّى قرب بادرايا « بدرة الحالية » . بعد أن أقام في هذه النواحي ٣٣ سنة .

يقول مؤرخ تاريخ كرخ سلوخ : « وعنه انظر الاسقفيات المنقرضة في ابرشية بيت كرماي في مجلة المجمع العلمي العراقي الخاصة بهيئة اللغة السريانية ٨/١٩٨٤ ص هامش » ان مار أدي ومار ماري أتيا الى بيت كرماي وبشرا فيها بالانجيل ؛ وذلك في عهد ارطبان احد ملوك الفرثيين « ولعله ارطبان الثالث ١١ ــ ٣٨ م » وبعد عودة مار ادي الى الرها أخذ مار ماري يطوف منطقة بيت كرماي ، فقصد مع تلاميذه مدينة شهرقرد ثم توجه الى مدينة كرخ سلوخ وعندما حلوا فيها استضافهم رجل اسمه يوسف فتتلمذ لهم وتعمذ مع خلق وافر من اهالي المدينة . وعندما ازداد عدد المؤمنين بنى لهم يوسف كنيسة عُرفت فيما بعد بدير مار يوسف[١٥] غادر

(١٥) يوجد الى اليوم ، في منتصف منطقة القورية ، بستان مشهور يسمى « مار يوسف باغي » اي بستان مار يوسف وفيه بقايا هذه الكنيسة حسب الاقوال المتداولة جيلا بعد جيل لدى نصارى كركوك رغم عدم وجود نص او اثر تاريخي يؤكد ذلك . وكانت عبارة عن غرفة صغيرة تقدر ابعادها بـ ٥ر٢ × ٣م مبنية بالحجر والجص ومحاطة بأشجار الزيتون . وكانت بمثابة مزار يؤمه المؤمنون بمختلف مللهم في ايام الآحاد والاربعاء للتبرك وطلب الشفاعة ويوقدون فيه الشموع ويحرقون البخور ومعهم مرضى

مار ماري وتلاميذه منهم « ادا » و « اناسيمس » مدينة كرخ سلوخ الى خربة جلال في ناحية درابر أو لاوب ثم انحدر الى رادان « وعن هذه النواحي انظر الاسقفيات المنقرضة في ابرشية بيت كرماي في مجلة المجمع العلمي العراقي في العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية (٨/١٩٨٤) » .

ومنذ ذلك الحين زرعت بذور الايمان المسيحي في حقول كركوك وأنت بمحصول وافر بثبات القديسين والمؤمنين الذين استشهدوا في أرض هذه المدينة الى حين دخول البدعة المانوية اليها « وعن المانويين انظر الملحق الخاص لهذا البحث »(١٦) .

سيرة الرسل وتلاميذهم في نشر المسيحية :

فمن النصوص والادلة التاريخية التي مر ذكرها في هذا البحث لا يبقى ريب في أمر انتشار المسيحية في المشرق وفي بلادنا منذ القرن الاول للمسيح ، فدان بها جموع غفيرة من شعوبها ، وذلك بفضل سيرة الرسل وتلاميذهم في المناداة بالمسيحية ، وارشاد الشعوب الى طريق الحق ، وبالآيات والكرامات الألهية التي كانوا يجترحونها لتأييد رسالتهم ، وتحملهم أقسى صنوف التعذيب بصبر وجَلَد ، تلك التي أنزلها بهم الملوك والمجوس واليهود ،

من الاطفال ثم يجلسون للتنزه تحت اشجار الزيتون . وفي سنة ١٩٦٢ بني جامع في مكانه على شارع الماس باسم «جامع المحمدي» وبقيت الغرفة الصغيرة على حالها بعد ترميمها داخل باحة الجامع لمن يرغب زيارتها. وان زيارة هذا الاثر في الوقت الحالي قد اقتصرت على المسلمين في المدينة ، فقد احجم المسيحيون عن زيارته كما يقول امام الجامع. واقول ان السبب واضح وهو عدم وجود مدخل او باب خاص له .

(١٦) المجدل لماري ص ٤ و ٥ ــ كلدو واثور ٢ ص ٢ و ٦ ــ ذخيرة الاذهان ١ ص ٣٩ ــ ملامح من التاريخ القديم ص ٥٣ ــ شهداء المشرق ١ ص ٢٠ وما بعدها ــ تاريخ باجرمي وشهدائها فصل ٢ ــ تاريخ الكنيسة الشرقية ١ ص ١٧ وما بعدها .

وبهذا لاقت هذه الديانة من أعدائها ما يلاقي كل دين جديد لدى انتشاره « لا تقاوموا الشرير ، بل من لطمك على خدك الايمن فحوّل له الآخر ، ومن طلب منك ثوبك فاعطه رداءك أيضاً ومن سخرك ميلاً فامش معه اثنين • متى ٥ : ٣٩ ــ ٤٠ ــ ٤١ » • «وكل كلمة باطلة تعطون عنها حساباً في يوم الدين» ، « لا تضلوا • انه لا الزّناة • ولا عبّاد الأوثان ولا الفجّار ولا السكيرون ولا الشتّامون•• رسالة بولس الرسول الاولى الىأهل قورنثية ٦ : ٩ ــ ١٠»

وبعد اعتناق معظم سكان هذه البلاد المسيحية ، ترك المتنصرون اسمهم القديم من آراميين وكلدانيين وآشوريين وبابليين لنفورهم من كل ما يدل على الوثنية وعُرفوا بالسريان الذي أُطلق على الاقوام الناطقة باللغة الارامية التي اعتنقت الديانة المسيحية في حين ظل لقب الاراميين يطلق على الفئات التي بقيت على الوثنية • وهكذا بعد مضي ثلاثة قرون على انتشار المسيحية بنيت كنائس عديدة في بيت كرماي وحدياب وميشان وفي المدائن وفي أجزاء اخرى من البلاد الفارسية كما بنيت بجوارها مدارس وأقام مار ماري دعائم أول كنيسة عراقية في المدائن وهي كنيسة كوخي العظيمة • وسبب تسمية بيعة المدائن « كوخي » انما جاءت لانها كانت أكواخاً لأكرة ماردنشاه رئيس طيسفون ولما شفى مار ماري ابنته استوهبها منه •

جلس بطاركة المشرق في بيعة المدائن الكبرى كوخي • وصارت مقراً لهم الى عهد خرابها في أيام الجاثليق ايشوعياب الجدالي « ٦٢٨ ــ ٦٤٥ » • ومنها انتقل الكرسي البطريركي الى كرخ جدان « قرهغان » ومكث فيها مدة من الزمن حتى هدأت الاحوال فرجع اليها وأقام حيناً في دير مار ماري وحيناً آخر في دير مار ميخائيل • وبعد بناء مدينة بغداد سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م انتقل الكرسي اليها عام ٧٧٩ م في عهد طيمثاوس الاول الجاثليق (٧٨٠ ــ ٨٢٣)

وبقي الى سنة ١٢٩٥ م[١٧] .

نصارى العراق بعد الفتوحات العربية :

رحب النصارى بالفاتحين العرب عند دخولهم العراق وساندوهم مساندة فعالة على انجاح فتوحاتهم ، حتى انزلوا جنودهم في البيَع والأديرة . وقد بذل ايشوعياب الثاني الجدالي « ٦٢٨ ــ ٦٤٥ » جاثليق المدائن قصارى جهده للفاتحين عند دخولهم المدائن ، واكتسب عطفهم ، ويقال انه نال منهم مرسوماً يقضي بتأمين النصارى القاطنين في المناطق المحررة . كما أخذ العهد من أبي بكر الصديق ومن عمر بن الخطاب « رض » . وروى عنه المؤرخون الاراميون أنه تشرف بمواجهة النبي العربي « ص » فأنعم عليه بكتاب توصية على النصارى ، وحظي أيضاً برؤية الخليفة عمر بن الخطاب فأحسن اليه وأكرمه . وفي مدينة تكريت فتح المفريان مار ماروثا أبواب قلعة المدينة الحصينة أمام المسلمين حقناً للدماء وتجنباً لوقوع المجازر انْ هي فُتحت عنوةً حيث لم يكن فتحها هيناً ورحب بقدومهم . وفي نينوى استقبل مار أمّه الجيوش العربية سنة ١٦ هـ / ٦٣٧ م وساعدها وقدم المؤونة لها حتى ان صداقته مع العرب رجحت كفته على منافسيه رغم شيخوخته فانتخبوه جاثليقاً على كرسي المدائن عام ٦٤٥ . لم يرد اسم مطرافوليط كركوك أو دوره في الفتوحات العربية ، مثلما سكتت المصادر عن استيلاء العرب على هذه المدينة بجلاء ، وانما ورد بصورة عابرة ، وذلك حينما وجه سعد بن أبي وقاص ، هاشم بن عتبة ومعه الاشعث بن قيس الكندي الذي أتى الى داقوقا وخانيجار « طوزخورماتو » فغلب على ما هناك وفتح كورة باجرمي « وهي كركوك » . ومما يفهم من سياق تسلسل تاريخ اساقفة كركوك ان جبرائيل

(١٧) ذخيرة الاذهان ١ ص ٧١ ــ تاريخ نصارى العراق ص ٧ و ٦٧ حاشية ٢ ــ المجدل لماري ص ٥ ــ تاريخ الكنيسة الشرقية ١ ص ١٩ .

الاول كان اسقفاً على مدينة كركوك في عهد الفتح العربي . وكان الاسقف المذكور في عهد الجاثليق ايشوعياب الجدالي . وكان قد رافقه مع أعضاء آخرين من الاساقفة والفقهاء والحكماء بصفة رسمية سنة ٦٣٠ من قبل الملكة بوران الى هرقل ملك الروم المقيم آنذاك في حلب لتوطيد عرى الصداقة والمحبة بين الدولتين انظر بحثنا عن اساقفة كركوك عبر التاريخ في مجلة بين النهرين ١٩٧٨/٢٣/٢٢[١٨] . وازاء الوضع الجديد الذي خلقه نشوء مملكة عربية اسلامية في البلاد اتخذ مسيحيو كنيسة المشرق موقفاً ايجابياً بصورة عامة ، فقد أحسوا بتعاطف حضاري وتاريخي مع هذه الدعوة الجديدة ، وكانوا يشعرون انهم محكرمون من قبل حكام دخلاء ، فقبلوا بالوضع الجديد وتعاونوا مع العرب الفاتحين ... وكانت علاقات المسيحيين والمسلمين في العراق والمناطق المتاخمة جيدة ، بحيث ان الجثالقة والرؤساء الكنسيين كثيراً ما كانوا يجتمعون بالخلفاء والامراء ، كما ان مسيحيين عديدين تبوّأوا أعلى المناصب في الدولة[١٩] .

وكانت سياسة العرب المسلمين هي ترك أهل الذمة يمارسون طقوسهم الدينية والاكتفاء بأخذ الجزية منهم مقابل اعفائهم من الخدمة العسكرية . وقد استفاد هؤلاء من هذه السياسة السمحة فتفرغوا للعلم والدين والصنائع والطب ، اضافة الى ممارسة طقوسهم الدينية بحرية وفي أيام الفتح الاسلامي كانت للكنيسة النسطورية في بلاد ما بين النهرين ست ابرشيات أو مناطق

(١٨) كلدو واثور ٢ ص ٢٥٣ ــ ذخيرة الاذهان ١ ص ٢٣١ و ٢٥١ و ٢٦٠ ــ تاريخ الموصل : ٢ : ٢١ ــ ادب اللغة الارامية ص ٢٦٨ وما بعدها ــ مجلة بين النهرين ٦ ص ٢٨ و ٣٠ والعدد ١٤/١٥ ص ٢٠٠ ــ المجدل لماري ص ٦٢ ــ نظرة عابرة في شمالي العراق ص ٦ وما بعدها ــ كتاب الرؤساء ص ٦٧ و ٦٨ .

(١٩) مجلة بين النهرين العدد ٢٥ ص ٢٥ وما بعدها .

كنسية كبيرة وهي :

١ ــ ابرشية المدائن « الابرشية البطريركية » .
٢ ــ ابرشية خوزستان ، وهي منطقة الاحواز « عربستان الحاليه » .
٣ ــ ابرشية نصيبين وهي ابرشية بيت عرابي .
٤ ــ ابرشية ميسان « البصرة » .
٥ ــ ابرشية حدياب وقاعدتها اربيل .
٦ ــ ابرشية بيت كرمـاي او جرمـاي وكانت قاعدتهـا كرخ ســلوخ « كركوك »[٢٠] .

ملحق البحث
المـانويون وبيت تيشـا
في كركوك

في الاضطهاد الذي أثاره شابور الثاني سنة ٣٢٨ استشهدت في كركوك ست راهبات وهن : تقلا وداناق وطاطون وماما وامزخيا وآنا . ونلن أكاليل الاستشهاد مع مار « معنا » اسقف كرخ سلوخ . وذلك بوشايه من المانويين الى « ادر خوش سايه » حاكم المدينة . وقد أمر هذا بقتلهن في مكان خارج المدينة في محل يسمى « حَورا » ــ كلمة سريانية بمعنى مثال ومنظر ــ ونفذ الأمر بهن . وقيل بعد استشهادهن نبت هناك من دمهن شـجرة تين أثمرت الخيرات والكرامات لجميع زائريها . ولما علم المانويون معجزات تلك الشجرة قلعوها وأحرقوها حسداً ، ولكن هذا العمل لم يبق بدون عقاب اذ ابتلاهم الرب بمرض الجذام ، اعترف المذنبون سبب علتهم علناً . ومنذ ذلك الحين

(٢٠) مدارس العراق قبل الاسلام ص ٣٦ ــ اربيل ص ٢٠٦ .

سمي هذا الموضع باسم بيت تيثا أي موضع شجرة التين . وكان موضع هذه الشجرة شرقي مدينة كركوك على مسافة نصف ساعة منها بقرب من تل مار طهمزكرد . وكان مسيحيو المدينة يزورون هذا المكان بعد زيارتهم دير مار طهمزكرد يوم جمعة الآلام باحتفال ديني كبير . ويضيف المطران ادي شير بأن هذا الموضع كان يسمى حتى في زمانه باللغة التركية « انجير اغاجي »[٢١] علماً بأن عهد المطران ادي شير في كركوك كان بين سنة ١٨٨٩ وسنة ١٩٠٢ أما اليوم فلا وجود لهذا الموضع في المنطقة .

المانويون وماني :

ينسب المانويون الى ماني بن فاتك فارسي الاصل من اسرة عريقة . وقد هاجر والده من بلدة اكبتانا « همدان » الى أرض بابل حيث أقام في قرية تقع وسط ولاية ميسين في الاقليم الواقع بين الفرات ودجلة . وفي هذه القرية ولد ماني سنة ٢١٥ أو ٢١٦ ونشأ على مذهب المغتسلة « سميت هذه الطائفة بالمغتسلة لان جميع طقوسهم الدينية لا تتم الا بالاغتسال في المياه الجارية » . ولكنه تعمق بعد ذلك في درس اديان زمانه ، الزرادشتية والمسيحية والمذاهب الاخرى ، ثم اعتنق الديانة المسيحية ، وزعم انه روح القدس « الفارقليط » . واتخذ له اثني عشر تلميذاً على مثال رسل السيد المسيح . واخذ يجوب معهم البلاد ، ولكن يجلب اليه المجوس قال بالبين ، انه الخير واله الشر كامتداد لتعاليم زرادشت ، فهو رغم تنصره ورسامته كاهناً في شوشان عام ٢٦٨ ظل محتفظاً بجذوره المجوسية ، وانتشرت تعاليمه في كل المشرق وامتدت الى أوربا وأفريقية . كتب ماني كثيرا من الكتب والرسائل ضمنها مذهبه ، ومنها كتاب كنز الاحياء وكتاب سفر الاسرار ،

(٢١) كلدو واثور ٢ ص ٦٣ــ شهداء المشرق ١ ص ١٧٠ ــ نظرة عابرة في شمالي العراق ص ٦٤ .

وكتاب الاصلين ... وقد كتب أكثرها باللغة السريانية وبخط دقيق على قطعة من الحرير الابيض اذا نُزع خيط واحد منها اختفت الكتابة التي كتبها . وقال ماني في اغنية پهلوية سائدة في شمالي ايران : « اني جئت من بلاد بابل لابلغ دعوتي للناس كافة » . كما ادعى انه اتى لتكميل كلام الله وانه خاتم الانبياء ... » . وقد جزع النصارى من دين ماني الذي بدا لهم انـه يفسد الاساس الحق لدينهم وبالغ كل في رميه بالسوء . يقول مؤلف اعمال شهداء الكرخ : « وفي ايام شابور بصق ماني مَوئل الخبث كله صفراءه الشيطانية » . ويؤيد ذلك ادي شير في الفصل الثاني من تاريخ باجرمي وشهدائها ما تعريبه : « ان في ايام شابور الاول نحو سنة ٢٦١ ظهرت تعاليم المُضِلّ الفاسد ماني حيث استفرغ الشيطان مرارتـه في حقـول باجرمي النظيفة ، ونبت زؤانان هما « ادا » و « عبزخيا » اللذان ارادا ان يخنقـا القمح ، الا ان القمح تمكن بقوة الرب أن يعلو عليهما وخنقهما » . ويلخص تيودور بركوني « الكاتب السرياني من القرن التاسع » رأيه في اتباع ماني فيقول : ان جميع اتباع المانوية هم من الاشرار الذين يقتلون الناس بطرق خفية وشيطانية وهم يرتكبون الفاحشة فيما بينهم بلا حياء وقد تجردوا من الرحمة وليس لهم فضيلة » . لاقى مذهب ماني تأييد واسـتحسان الملك شابور الاول ثم انقلب عليه . واذ ذاك هرب ماني فظل حائراً أكثر من اثني عشر عاماً في بلاد آسيا الوسطى وفي الهند والصين ، وبعد وفاة شابور سنة ٢٧٢ عاد الى ايران وفي عهد الملك بهرام الاول « ٢٧٣ ــ ٢٧٦ » حكم عليه بالكفر فادخل السجن فعذب عذاباً مبيناً مات على اثره وكان ذلك عام ٢٧٦ . وفي رواية شرقية ، قبض عليه بعد وفاة ابن بهرام الملك على يديه عندما كان

يعالجه فسلخ جلده حياً وحشي وصلب على أحد أبواب مدينة جنديسابور « شوشان » في الاحواز وقد سمي هذا الباب بعد ذلك بباب ماني[٢٢] .

★ ★ ★

(٢٢) ايران في عهد الساسانيين ص ١٦٩ وما بعدها ـ كلدو واثور ٢ ص ٥٢ وما بعدها ـ ذخيرة الاذهان ١ ص ٦٠ ـ رحلتي الى العراق ص ٣٧ حاشية ٥٨ .

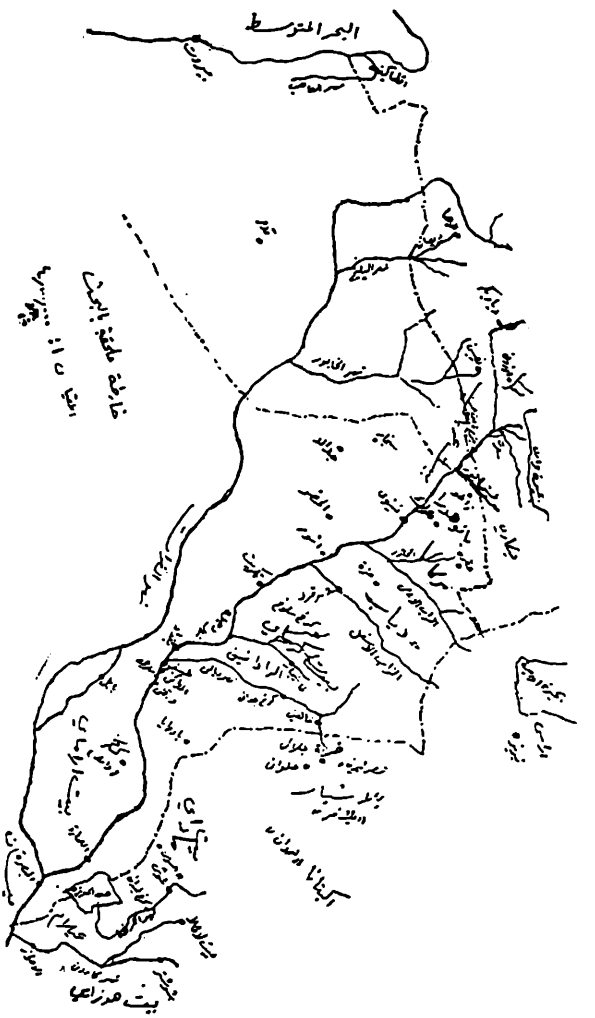
البحر المتوسط

المصادر

١ ــ ادب اللغة الارامية للاب البير ابونا ــ بيروت ١٩٧٠ .

٢ ــ اربيل في ادوارها التاريخية زبير بلال اسماعيل ــ النجف الاشرف ١٩٧١

٣ ــ اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجادل لماري بن سليمان روما ١٨٩٩ طبعة جيسموندي .

٤ ــ انتقال علوم الاغريق الى العرب للدكتور (دي لاسي اوليري) ترجمة متى بيشون ويحيى الثعالبي ط ١ بغداد ١٩٥٨ .

٥ ــ المسيحيون الاولون ــ آني جوبير ــ تعريب الاب البير ابونا ــ بغداد ١٩٨٢

٦ ــ ايران في عهد الساسانيين ــ آرثر كريستنسن ــ ترجمه عن الفرنسية يحيى الخشاب ــ القاهرة ١٩٥٧ .

٧ ــ بيوك تاريخ عمومي ج ٢ ــ احمد رفيق ــ استانبول ١٣٢٨هـ .

٨ ــ تاريخ الكنيسة الشرقية ج ١ للاب البير ابونا ؛ الموصل ١٩٧٣ .

٩ ــ تاريخ كلدو واثور جزآن للمطران ادي شير بيروت ١٩١٢ ــ ١٩١٣ .

١٠ــ تاريخ نصارى العراق ارفائيل بابو اسحق ــ بغداد ١٩٤٨ .

١١ــ تاريخ الموصل جزآن للاب « المطران » سليمان الصائغ ــ القاهرة ١٩٢٣ وبيروت ١٩٢٨ .

١٢ــ تاريخ باجرمي وشهدائها « مخطوط » بالتركمانية وبالحروف الكلدانية « الكرشونية » للاب ادي شير كركوك ١٨٩٦ .

١٣ــ ذخيرة الاذهان جزآن للاب بطرس نصري ــ الموصل ١٩٠٥ ــ ١٩١٣ .

١٤ــ رحلة ريج في العراق عام ١٨٢٠ ــ ج١ ــ كلوديوس جيمس ريج ــ ترجمة بهاءالدين نوري ــ بغداد ١٩٥١ .

١٥ــ رحلتي الى العراق سنة ١٨١٦ ج ١ (جيمس بكنغهام) ترجمة سليم طه التكريتي ــ بغداد ١٩٦٨ .

١٦ــ سيرة القديسين اليومية ج ٢ ــ الموصل ١٨٩١ .

١٧ــ شهداء المشرق جزآن للمطران ادي شير الموصل ١٩٠٠ ــ ١٩٠٦ .

١٨ــ مختصر في التواريخ القديمة للاب اويس رحماني « البطريرك اغناطيوس افرام رحماني » الموصل ١٨٧٦ .

١٩ـ مدارس العراق قبل الاسلام لرفائيل بابو اسحق ـ بغداد ١٩٥٥ .

٢٠ـ ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق للدكتور احمـد سوسة ط ١ ـ بغداد ١٩٧٨ .

٢١ـ نظرة عابرة في شمالي العراق ـ عبدالرزاق الحصان ـ بغداد ١٩٤٠ .

٢٢ـ يزداندوخت « الشريفة الاربيلية » للقس سليمان صائغ ـ الموصل ١٩٣٤

٢٣ـ مجلة بين النهرين ـ مجلة فصلية حضارية تراثية ـ تصـدرها مطرانية الكلدان في الموصل .

٢٤ـ المجلة البطريركية ـ مجلة دينيـة تاريخية ادبيـة شهرية ـ تصـدرها بطريركية انطاكية للسريان الارثوذكس في دمشق .